مشروع تطوير المناهج والبرامج التعليميّة في اللّغة العربيّة في مرحلة الطفولة المبكرة والتعليم الأولي وفق المقاربة التكامليّة

أ. رباب عاشور

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم " إنا أنزلناه قرآناً عربيّاً لعلكم تعقلون" (قرآن كريم)

لا يألو الإنسان جهداً في تعريف اللّغة العربيّة، والتحدّث عن مكانتها المرموقة ومدى ديمومتها وأبعادها الوجدانيّة والدينيّة والتاريخيّة والثقافيّة ...وهي اللّغة التي تغنّى بها الأدباء ، وأثنى على مزاياها المفكرون والباحثون حتّى من غير العرب، وقيل فيها الكثير الكثير، فـ"اللّغة العربيّة من أبرز اللّغات على الإطلاق وأكثرها جزالةً في الألفاظ وقُدرةً على استيعاب المعاني الجليّة، إذ تُدعى بلغة الضّاد، وهي لغةٌ فضفاضةٌ واسعةُ المدى والبيان..." (١) (إبن خلدون) ويقول مصطفى صادق الرافعي: "إنّما القرآن جنسيّة لغويّة تجمع أطراف النسبة إلى العربيّة، فلا يزال أهله مستعربين به، متميّزين بهذه الجنسيّة حقيقةً أو حكماً..." (٢) بينما نجد الشاعر أحمد شوقي يمدح فيها الجمال فيقول: "إنّ الذي ملأ اللّغات محاسنًا جعل الجمال وسره في الضاد"(٣) ويؤكّد إرنست رينان الفرنسي كمالها فيقول:"اللّغة العربيّة بدأت فجأة على غاية الكمال، وهذا أغرب ما وقع في تاريخ البشر، فليس لها طفولة ولا شيخوخة". (٤)

أمّا اليوم وقد شكّلت التحديات التي عصفت بلغتنا العربيّة خاصة في الآونة الأخيرة وعياً لدى الحريصين عليها، وجعلها في صدارة القضايا ضمن قائمة المخاطر التي تتعرض لها هويّتنا العربيّة، فراحوا يشبعونها دراسات عميقة ويفصّلون في المشكلات وأسبابها كمحاولة لإنعاش ذاكرتنا ووجداننا بما لهذه اللّغة من أصالة ومميّزات، فإذا بها تسمو بلغة الرحمن طوراً و تغدو لغة الضاد تارة أخرى، فلا توازيها من مثيلاتها لغة كونيّة.

هي دراسات وأبحاث لا بد قيّمة وثمينة، ولكن السؤال المشروع ماذا بعد؟ أما حان الوقت لنخطو خطوات جريئة بمبادرات على مستوى الوطن العربي ؟ كيف نقدّم اللّغة العربيّة في مدارسنا ؟ أين نحن من مستوى المناهج والكتب والأساليب؟ ...

ولتبقى هذه اللّغة في عقول أبنائنا ، وكي لا تضيع بين طيّات لغة الأنترنت مرّة واللّهجات العاميّة مرة أخرى علينا أن ندير هذه المخاطر بطريقة إيجابيّة، فنجعل منها أرضاً خصبة للنهوض بلغتنا العربيّة، من خلال تضافر جهود الباحثين والمبادرين، وتلقّف التجارب الناجحة، لصقل تجارب جديدة أكثر نضوجاً وقابليّة للتعميم.

وهذا ما سيتعرض له بحثنا من خلال الإضاءة على تجربة عمليّة متكاملة في مجال تطوير منهج لغة عربيّة مبني على النهج الشمولي التكاملي في صفوف الطفولة المبكرة والتعليم الأولي.

اللّغة العربيّة هدف ومسؤوليّة :

"وصيّتي لكم بتميّزكم تميّزوا بلغة القرآن اللغة العربية، إعتنوا بها وارتقوا بتعلّمها كمّاً وكيفاً وهي أهم عناصر الهويّة، تشجّعوا وشجعّوا الآخرين لنحافظ على لغتنا الأم إضافة إلى اللّغات الحيّة الأخرى،هذه اللّغة التي يتحدّث بها أكثر من ٧٠٠ مليون نسمة في

العالم)...

طموحنا الوصول إلى التميّز بإتقان هذه اللّغة لدى النسبة الأكبر من تلامذتنا والعاملين في مؤسّساتنا. .. لا بد من التركيز على لغتِنا الأم في سنوات التعليم الأساسي والقدرة على استخدام هذه اللّغة بانسيابيّة وتذوّقِها شعراً ونثراً وأدباً وموسيقى وبلاغة."(٥)

أكدّت المبرّات في رؤيتها الرساليّة والتربويّة أهميّة الحفاظ على اللّغة العربية ، ولأنها تعيش كما الكثيرين همّ تراجع المستوى التعليمي فيها عند المعلمين والأبناء، فهي تسعى بكافة الإمكانات المتاحة إلى تطوير عملية التدريس في اللّغة العربيّة،ومواكبة كلّ جديد على صعيد المناهج والدراسات التربويّة، والإستراتيجيات والأساليب التعليميّة الناشطة... والهدف ليس اتقان هذه اللّغة فحسب بل التميّز والتألّق أيضاً.

وإذا كانت الحاجة غالباً هي النقطة المفصليّة والحافز للتفكّر بمشاريع تطويريّة، فإنّ افتقارنا إلى مناهج لغة عربيّة طموحة ومتقدّمة تناسب مرحلة الطفولة المبكرة والتعليم الأولي بما يراعي الأبعاد المرتبطة بخصوصيّة هذه المرحلة، جعلنا نتوجّه نحو مشروع إعداد مناهج لغة عربيّة مبنيّة على النهج الشمولي التكاملي.

أوّلاً : الإطار النظري التي استندت إليه التجربة :

لماذا النهج الشمولي التكاملي ؟

أكّدت الدراسات العلميّة والتربويّة على التعلّم كعنصرٍ أساسيٍّ في عمليّة النماء وربطه بتأثيره على المراحل التعليميّة اللاحقة و نوعيّة الرعاية والأساليب التي يجب أن يتلقاها الطفل،حيث يكونُ الدماغ أكثر نشاطاً بين ٤-١٠ سنوات، والتي يطلق عليها " السّنوات العجيبة للتعلّم. "يتّسم التعلّم بأهميّة حاسمة في عمليّة النماء، ويعرّف التعلّم بأنه عمليّة إكتساب المعارف والمهارات والعادات والقيم من خلال الإختبار، التجريب، الملاحظة، التفكير والدراسة والتعليم (Myers ١٩٩٥). كما أن مستوى النماء الذي يصل إليه الطفل في مرحلةٍ معيّنةٍ إمّا أنّها تيسّر أو تكبح تعلّمه في الحاضر والمستقبل على السّواء (Levinger ١٩٩٢ . (٦)

"هناك حاجة طارئة للإعتراف والإهتمام أكثر وأكثر بأهمية تنمية الطفولة المبكرة وهو ما تؤكّد عليه: الأهداف الست للتعليم للجميع، أهداف التنمية للألفيّة الثالثة، مؤشرات الصحّة الإنجابيّة، اتفاقية حقوق الطفل وأبحاث Lancet ٢٠٠٧-٢٠١١".(٧)

"Adherence to scientifically based research in this publication was ensured by a review process that included representatives of the National Institute for Literacy and the National Early Literacy Panel Chair" (٨)

وانطلاقاً من حقيقة أهميّة استثمار التعليم في مرحلة الطفولة المبكرة والتعليم الأولي وما له من آثار إيجابيّة نحو التعليم مدى الحياة. تبنّت مدارس المبرّات المنهج المبني على النهج الشمولي التكاملي، ورصدت لذلك الإمكانات والموارد البشريّة والماديّة ، لأنها وجدت أنّ هذا النهج بمبادئه، يحاكي رؤية المبرّات، ورسالتها التربويّة، وما تصبو إليه في تحقيق مصلحة التلميذ الفضلى. كما أُخذت هذه المقاربة بعين الإعتبار في عمليّة التأليف لاحقاً .وللوقوف على ماهيّة التربية الشموليّة والنهج الشمولي التكاملي نجد أنّ: "النهج الشمولي ،النظر إلى الطفل ككلٍّ واحدٍ موحّد. "إنّ للأطفال حاجاتٍ متنوّعة ومهمة بكافة جوانبها، وهي تتداخل فيما بينها وتؤثر على بعضها البعض، لذلك ينمو الطفل ويتّعلم من خلال تفاعله ونشاطه في كافة مجالات حياته".(٩)

أمّا التكاملي فـ "هو أخذ حاجات الطفل بمجملها في الحسبان، حتى عندما نهتم بحاجة معينة لديه. إنّ السّعي نحو توفير خدمات متكاملة هو نتاج منطقي لإدراكنا طبيعة الطفل الشموليّة".(١٠)

- أمّا مبادئ النهج الشمولي التكاملي ، والتي وردت في أربعة عشر مبدأ فنذكر منها بعض المبادىء ذات الصلة بالبحث.

١. الطفل كيان واحد موحّد مهم بكافة جوانبه حيث يتأثّر كل جانب بالجوانب الأخرى ويؤثّر فيها.
٢. الطفولة مرحلة عمريّة قائمة ومتكاملة في حدّ ذاتها ومن حق الطفل أن يحياها بكاملها.
٣. تفاعل الطفل مع الأشخاص (كباراً وصغاراً) يحفّز عمليّة التعلّم عند الطفل وينشّطها ويشجّعها ويدعمها.
٤. تنمية هويّة الطفل الثقافيّة ولغته الأم، وقيّمه الخاصّة (المحليّة) مهمّة لنموّه السويّ والمتكامل.

٥. نظرة الطفل شموليّة وهو لا يميّز بين فروع المعرفة المختلفة بل يتعلّم بشكل متكامل. ١٩٩ (١١)

ثانياً: تجربة التربية الشموليّة: النهج الشمولي التكاملي:

أطلق المركز التربوي للبحوث والإنماء في لبنان مطلع العام ١٩٩٩ وبالتعاون مع منظمة اليونيسف تبنّي مشروع التربية الشموليّة للتعليم في الحلقة الأولى بدءاً من الصف الأوّل الأساسيّ حتى الصف الثالث الأساسيّ والتي أطلق عليها في نهاية الألفيّة الثانية التربية التّكامليّة.

تبنّت ثانويّة الكوثر وهي إحدى مدارس المبرات خوض هذه التجربة، خاصّة لأنّها تنسجم مع اعتمادها التعليم الشمولي التكاملي "إنّ التربية الشموليّة هي إمتداد طبيعي للتربية العامة، إذا أخذنا هذه الأخيرة في إطار فلسفة إنسانيّة شاملة تشدّد على إنسانيّة الإنسان بصرف النظر عن انتماءاته العرقيّة والإثنيّة ، إنّ عمل التربية على بناء شخصيّة التلميذ بكامل أبعادها وإمكاناتها، ومساعدته على التكيّف مع مجتمعه وثقافته وجعله قادراً على المساهمة في تنمية وحلّ مشكلاته، كان هدفاً مألوفاً في التربية العامّة، وقد أضيف إليه هدف أساسيّ تجلّى في توصية الأونيسكو التي أضافت إلى الأهداف العامّة هدف تأمين القدرة على التواصل مع الآخر، وفهم جميع الشعوب وإحترامها، وفهم حضاراتها وقيمها، وأنماط حياتها." (١٢) وهذا ما دعانا إلى تطبيق منهج التربية الشموليّة

وتدرّجت المبرّات في تطبيق هذه التجربة منذ العام الدّراسيّ ٢٠٠٠ – ٢٠٠١ وحتّى العام الدّراسيّ ٢٠٠٢ – ٢٠٠٣ في شعبتين من كلّ صفٍّ من الأوّل وحتّى الثالث الأساسيّ، ومع رصد النتائج الإيجابيّة لأثر التجربة على التلامذة، عمّمت المبرّات تطبيق منهجيّة التربية التكامليّة لصفوف الحلقة الأولى ورياض الأطفال في كافة مدارسها ، وذلك بعد أن أعطيت إذناً استثنائيّاً من رئاسة المركز التربوي بسبب الثقة بالنتائج وطريقة المتابعة والإشراف. كما شكّلت مدارس المبرّات نموذجاً ميدانيّاً و مصدر معلومات للمهتمّين بالتجربة، فاستقبلت في مدارسها وفوداً من المركز التربوي والمدارس الزميلة في لبنان وخارجه (عُمان، البحرين،السّعودية ..الخ) أتت للإطلاع على التجربة و التزوّد بالموارد و المراجع التي وضعتها..

ثالثاً: تغييرات نتجت عن تطبيق التجربة:

"إنّ تلبية حاجات التعلم الأساسيّة للجميع تتطلّب أكثر من مجرّد تجديد الإلتزام بالتربية الأساسيّة في حالتها الراهنة . فالمطلوب فعلاً هو "رؤية موسّعة" تتجاوز المستويات الحاليّة للموارد، وكذلك البنى المؤسسيّة، والمناهج الدراسيّة، والنظم التعليميّة، التقليديّة، مع الإعتماد على أفضل الممارسات القائمة. وثمّة اليوم إمكانات جديدة يوفّرها اقتران الإمكانات على نحو مبدع مع التصميم على تحقيق المزيد من الفعاليّة.

والرؤية الموسّعة تشمل : – التركيز على اكتساب التعلّم– توسيع نطاق التربية الأساسيّة ووسائلها – تعزيز بيئة التعلّم – تقوية المشاركات – رؤية موسّعة والتزام متجدّد" (١٣)

يقتضي تحويل التعلّم في تبنّي أيّة مقاربة جديدة، إدخال تغييرات أساسيّة على التربية القائمة، وعليه فقد احتاجت مرحلة تطبيق هذه التجربة، إلى إحداث تغييرات على أكثر من صعيد، وذلك انطلاقاً من المقوّمات الأساسيّة لنجاح التربية الشموليّة التكامليّة والتي تمثلت بوجود: منهاج تعليمي تكاملي يتوافق و متطلبات التربية الشموليّة، بيئة تعليميّة محفّزة ، موارد تربويذة غنيّة، معلّم مبدع و متمرّس، أساليب و طرائق تعليميّة ناشطة تنمّي مهارات المتعلمين وتراعي الفروقات الفرديّة....

١- على صعيد المنهاج التعليمي :

فقد تم اعتماد الكتاب الشمولي الذي أعدّ من المركز التربوي واليونسيف والذي تضمّن إلى جانب اللّغة العربيّة دمج مواد الإجتماعيّات والعلوم ، ولتعزيز الانسجام بين المنهج التعليمي وتحقيق غايات التربية الشموليّة التكامليّة، تم أيضاً التعديل على: الخطط والأنشطة التعليميّة، والأساليب والطرائق ، وذلك من خلال إدخال الأنشطة المرتبطة بتنمية الوعي للأبعاد التي ركزت عليها التربية الشموليّة (البعد المكاني- البعد الزماني/ البعد الداخلي / البعد المتّصل بالقضايا). والتعرف إلى الثقافات المختلفة، إلى جانب تعزيز المسؤوليّة الفرديّة والجماعيّة، وفهم منظومة الحقوق والواجبات انطلاقاً من حقوق الطفل....وتطبيق ممارسات تعليميّة ترتبط بحياة المتعلّمين وتتناسب مع حاجاتهم ومرحلتهم العمريّة، كما وتثير لديهم الدافعيّة وحب الإستطلاع والإكتشاف والمشاركة....

٢- على صعيد برنامج الحصص للتلميذ :

جدول مقارنة لبرنامج الصفّ قبل وبعد تطبيق تجربة التربية الشموليّة.

البرنامج الصّفي للمواد الأساسيّة قبل اعتماد منهجيّة التعليم الشمولي.	البرنامج الصّفيّ للمواد الأساسيّة بعد تطبيق التجربة.
برنامج الحصص الأسبوعي (مواد منفصلة): لغة عربيّة- لغة أجنبيّة – رياضيّات- علوم- اجتماعيّات –تنشئة إسلاميّة). ٦ مواد تعليميّة.	برنامج الحصص الأسبوعي (فترات تعليميّة). فترتان تعليميتان، ١ تكاملي ٢ أجنبي.
عدد معلّمات الصفّ الواحد في المواد الأساسيّة (٦ معلّمات)	عدد معلمات الصف الواحد في المواد الأساسيّة. (معلّمتان)
عدد الكتب التي يحتاجها التلميذ ٦ كتب.	عدد الكتب التي يحتاجها التلميذ ٣ كتب
حصص المواد الأدائيّة منفصلة (رياضة، فنون،مسرح ، موسيقى)	حصص المواد الأدائيّة منفصلة (رياضة، فنون،مسرح ، موسيقى)

بالعودة إلى جدول المقارنة أعلاه، وربطاً بأهداف التربية الشموليّة التي تقوم على مبدأ النظرة الشموليّة لجوانب شخصيّة المتعلّم، نجد أنّ هذه التعديلات جاءت أساسيّة وضروريّة ، وذلك لأنّ معلّم الصفّ الشموليّ والذي يتابع تلميذه في مواد متعدّدة وبفترات طويلة، وبالتالي يرصد تطوّره في المجالات النمائيّة وتفاعله في المواقف المختلفة، سيعطي ذلك حتماً فرصة أفضل للمعلّم في فهم حاجات المتعلّم، وسيكون لديه الوقت الكافي لمعالجة المشكلات الدراسيّة والسلوكيّة وتقديم الدعم والتحفيز.. ، وفي المقابل سيوفّر ذلك راحة نفسيّة عند المتعلّمين والشعور بالأمان. هذا إلى جانب التخفيف من كمّ الكتب التي سيحتاج المتعلّم إلى حملها بشكلٍ يوميٍّ، والآثار الصحيّة الإيجابيّة المترتّبة على ذلك .

٣- على صعيد البيئة الصفيّة :

٤- تعتبر البيئة الصفيّة والموارد والوسائل التربويّة، من العناصر الأساسيّة التي تؤثّر في العمليّة التعليميّة، لذا فإنّ البيئة الصفيّة المناسبة الغنيّة والمحفّزة ستوفّر الفرص الأفضل للتفاعل وتحقيق المكتسبات، ولأنّ التعليم الشمولي يهدف إلى ممارسات تعليميّة أفضل، ويركّز على دور التلميذ كمحورٍ في العمليّة التعليميّة ، وأيضا يسعى لتعزيز العمل الفريقي التشاركي والتعلّم الناشط، تمّ إدخال بعض التّعديلات لناحية الشّكل والتجهيزات، (وضع الطاولات على شكل مجموعات، مكتبة تحتوي على قصص للمطالعة، مكتبة لعرض أنشطة التلاميذ..)، بالإضافة إلى توفير الموارد التربويّة والوسائل الحسيّة البصريّة والسمعيّة .. التي تساعد في إيصال المفاهيم

وتثبيتها عند المتعلّمين مع أهمّيتها خاصّة في هذه المرحلة العمريّة.

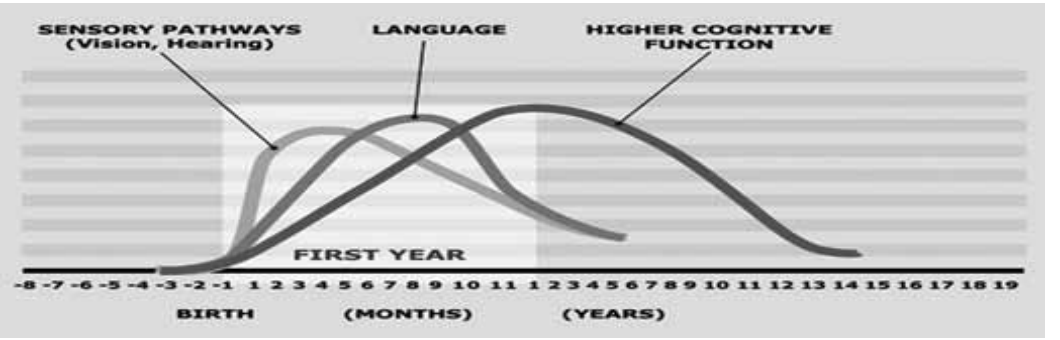

يبنى الدماغ بطريقة تسلسليّة عبر الوقت (المهارات الحسيّة مثل النظر والسمع؛ ثم اللّغة؛ ثمّ المهارات الفكريّة العليا.(١٤)

صور من صفوف رياض الأطفال والحلقة الأولى في ثانوية الكوثر.

٥- على صعيد المعلّمين:

أثبتت التجربة الميدانيّة أنّ فعاليّة أيّ منهج يتوقّف بطريقةٍ أو بأخرى على مدى كفاءة المعلّمين ووعيهم لهذا المنهج، من هنا فقد تزامنت انطلاقة العمل بالمشروع مع الإهتمام بإعداد خطّة تأهيل وتدريب المعلّمين، ولعلّ ذلك كان من أبرز الصعوبات التي واجهت القيّمين على التجربة، هذا إذا ما نظرنا إلى متطلّبات التعليم الشمولي وتوقّعاتنا من المعلّم الذي يجب أن يمتلك الكثير من المعارف والمهارات لممارسة دوره بفعالية.

حاجات التطوير المهني الأساسيّة لمعلّم التربية الشموليّة:

- يمتلك المعارف المرتبطة بمواد التربية التكامليّة وطرق تدريسها، وفق المرحلة التي يدرّسها (عربي / رياضيّات / علوم /إجتماعيات)
- لديه ثقافة حول : مفاهيم التربية الشموليّة أهدافها وأبعادها .. خصائص المرحلة العمريّة- أبحاث الدماغ – إتفاقية حقوق الطفل...
- يمتلك مهارات واستراتيجيّات التعليم الناشط : (التقصّي ، التعاوني ، حلّ المشكلات ، مهارات التفكير الناقد ، التعلّم عبر اللّعب ،...)
- يمتلك مهارات التحضير لدرسٍ تكامليٍّ ، يراعي دمج مواد التربية التكامليّة وفق الفروقات الفرديّة للمتعلّمين.

- لديه معرفة ويمارس أساليب التقييم المستمر وفق خصوصيّة التقييم المعتمدة في صفوف التربية التكامليّة.

تمّ التركيز على عمليّة تأهيل المعلّمين ضمن خطّة بعيدة المدى، بدءاً من نشر ثقافة التربية الشموليّة التكامليّة عند المعلّمين المشاركين بالتجربة، ومن ثمّ التدريب على تحضير نماذج دروس (غطّت كلّ دروس الكتاب) يتمّ تطبيقها بالتشارك بين المعلّمين ضمن جدول المشاهدات الصفيّة بهدف تبادل الخبرات، ويليها مباشرةً اجتماعات مناقشة المشاهدات والتي تهدف إلى التحسين، هذا إلى جانب الدورات التدريبيّة والقراءات المكثّفة التي ارتبطت بالمعارف وطرق تدريس المواد التكامليّة، كما اشتملت خطة التأهيل على تنمية مهارات المعلّمين في الإدارة الصفيّة، واستخدام الأساليب الناشطة والمناسبة للمرحلة العمريّة ، والموادّ التربويّة اللازمة لفهم خصوصيّاتها.

إنّ خطّة تأهيل معلّمي التربية التكامليّة جاءت مكثّفة في بداية انطلاقة المشروع ، وما زالت مستمرّة لكن ضمن حاجات المعلّمين خاصّةً الجدد منهم، إذ أصبحت خطّة التأهيل هذه ضمن برنامج التطوير المهنيّ المستمرّ لمعلّمات التربية الشموليّة في رياض الأطفال والحلقة الأولى.

هذا وقد كان للمعلّمين دورٌ أساسيٌّ في تقييم التجربة خلال مراحل تطبيقها، إنْ من حيث تحديد الإيجابيّات والصعوبات وتقييم الكتاب والأساليب التعليميّة المستخدمة، أو من حيث رصد الأثر على المتعلّمين.

ومن الأمثلة على مشاركة المعلّمين في تقييم الكتاب الصادر عن المركز التربوي للبحوث والإنماء، فقد قام المعلّمون بملء الاستمارات الواردة من المركز والخاصّة بهم، ومنها: إستمارة قائمة ملاحظات الدرس – إستمارة تقييم المعلّمة للدرس. إستمارة بطاقة معلّم حول تطبيق التجربة،.. وهذه بعض الأسئلة التي وردت في الاستمارات : – هل شارك التلاميذ في كلّ أجزاء الدرس؟ – هل عبّر التلاميذ عن رأيهم خلال الدرس؟ برأيك ، هل أحبّ التلاميذ الدرس؟ ما هي ملاحظاتك حول رسوم وصّور الكتاب ؟

الإجابات: نعم أحبّ التلاميذ الدّرس– شارك التلاميذ بكل أجزاء الدرس – عبّروا عن رأيهم بإيجابية – بعض الصّور والرّسوم غير واضحة ... دمج المواد في كتاب واحد خفّف على التلميذ عبء حمل عدّة كتب وسهّل استخدام الكتاب في الصفّ، يوجد ضعف في الأنشطة اللّغويّة وتحتاج المعلّمة إلى تحضير البطاقات المساعدة .

السؤال:– عدّد بعض إيجابيّات تطبيق التجربة، الإجابات: دمج المواد في كتابٍ واحدٍ، الأنشطة التعليميّة ساعدت في تفاعل التلميذ مع المعلّم ومع الرّفاق، لاحظنا أنّ التلامذة يعبّرون بحريّة وثقة أكبر، يعبّر التلاميذ عن دافعيّتهم وحبّهم للدّرس، يستخدم التلاميذ مصطلحات ومفردات جديدة، المواضيع المطروحة تشجّع التلاميذ على التفاعل والاستنتاج.... وفي سؤال،عدّد بعض سلبيّات تطبيق التجربة جاءت الإجابات : دليل المعلم الخاصّ بالكتاب غير متوفّر، نحتاج إلى المزيد من التدريب للتمكّن من تفعيل العمل داخل الصّف، الوسائل التعليميّة الخاصّة بالكتاب تحضّر من قبل المدرسة وهي غير متوفرة في الكتاب .. ، إذا خيّرت بين أعتماد التربية الشموليّة أو ما هو معتمد في المدارس، ماذا تختار؟ لماذا؟ كانت الإجابات : أختار التربية الشموليّة لأنها تساعد التلميذ في اكتساب العديد من المهارات ، واكتساب الجرأة في التواصل والتعبير عن المشاعر، والاستمتاع في الحصّة التعليميّة ، وتنمّي عنده مهارات التفكير والقدرة على المناقشة، وتعطي فرصة للمعلّم في متابعة الجوانب المتعدّدة لشخصيّة التلاميذ لأنّها يقضي معهم وقتاً أكبر.....

٦- على صعيد الأهل:

إنّ أثر إشراف الأهل على حياة الأبناء، خاصّة في السنين الأولى من عمرهم، أمر ضروري ينعكس على مجالات النموّ بحسب ما تشير إليه الدراسات "تقع أسرع فترة يتطوّر فيها الدماغ في العامين الأوّلين من الحياة، وتحدّد مسالك الوظائف العقليّة والوجدانيّة والبدنيّة/ المناعيّة والاجتماعيّة الهامّة (Mustard ١٩٩٨; Carnegie ١٩٩٤) ، وتوفّر الخبرات التي تتراكم لدى الطفل في الفترة من سنّ عامين حتّى خمسة أعوام، الأسس للتعلّم والتعليم النظاميّ فيما بعد، وكذلك لاكتساب المهارات الاجتماعيّة الأساسيّة، وتتّسم الخبرات التي يكتسبها الطفل في المرحلة الإنتقاليّة في المدرسة الإبتدائيّة (من سنّ السادسة إلى الثامنة) بأهميّة وحيويّة إذا ما أريد تعزيز ما سبق أن تعلّمه قبل المدرسة، وإذا ما أريد للطفل أن ينجح في المدرسة وحياته لاحقاً.)".(١٥)

من هنا وخلال فترة التجربة تم عقد لقاءات مع الأهل ، هدفت إلى تثقيفهم حول مفهوم التربية الشموليّة وأهدافها، وشرح التغييرات

التي أحدثتها هذه التجربة على العمليّة التعليميّة، والتوقعات من المكتسبات التي سيلحظ تحقيقها عند أبنائهم. إلى جانب ذلك اعتُبر الأهل من مصادر المعلومات لتقييم التجربة من خلال تزويد المدرسة بالملاحظات التي ساعدت لاحقاً في رصد الأثر على المجالات النمائيّة المختلفة.

نماذج من نتائج تحليل استمارات تقييم التجربة الشموليّة موجّهة للأهل:

١- هل شعرتم أنّ هذه التجربة في صفّ ولدكم قد ساعدته على اكتساب مهارات جديدة؟

نعم	٤٢	٨٢,٣٪
كلا	٤	٧,٨٪

هل شجّعت على: القدرة على التعبير بجرأة وثقة؟

نعم	٤٣	٨٤,٣٪
كلا	٤	٧,٨٪

الإستقلاليّة في العمل ؟

نعم	٤٢	٨٢,٣٪
كلا	٥	٩٧,٨٪

هل خفّفت من ضغط الأعباء الدراسيّة اليوميّة؟

	نعم		كلا	
اللّغة العربيّة ومواردها	٤٥	٨٨,٢٪	٣	٥,٨٪
الرياضيات	٤٨	٩٤,١٪	١	١,٩٪
اللّغة الإنكليزيّة	٢٣	٩٢,٠٪	٢	٨,٠٪
اللّغة الفرنسيّة	٢١	٨٠,٧٪	٣	١١,٥٪

٧- على صعيد المتابعة والتقييم:

مع تشعّبات العمل خلال تطبيق تجربة التعلّم الشمولي في المدارس ولأهميّة توثيق وتقييم وتحسين هذه التجربة ثم تشكيل لجنة من الإداريّين والمنسقين والمشرفين سمّيت بلجنة " المتابعة والتقييم" قامت هذه اللجنة بمهام وإنجازات عديدة كان أبرزها:

- الإشراف على إعداد الخطط التعليميّة والبرامج وتقييم الكتاب.
- التعديل على آلية التّحصيل المدرسي للتلميذ بما يتناسب مع التجربة الجديدة.
- المشاهدات الصفيّة وكتابة التقارير حولها.
- إعداد خطط تأهيل لمعلّمي التربية الشموليّة التكامليّة والمشاركة في عمليّة التدريب.
- المشاركة في وضع استبيانات حول تقييم التجربة .
- دراسة وتحليل نتائج التلامذة في صفوف تطبيق التجربة بالمقارنة مع الصفوف الأخرى.

والأهمّ من ذلك عملت اللجنة على إعداد دراسات تقييميّة لرصد أثر التجربة على التلميذ وقد جاءت خلاصات الدّراسة لصالح دعم التعليم وفق التربية التكامليّة المبنيّة على النهج الشمولي.

ونذكر في هذا المجال بعض المؤشّرات التي وردت في نتائج الدراسة حول التلميذ في الصف الشمولي.

- يحمل حقيبة أقل وزناً.
- يتفاعل ويشعر بالأمان مع المعلّمة الواحدة للصفّ.
- يستخدم اللّغة بانسيابيّة في التعبير عن أفكاره.
- يستطيع الربط بين المفاهيم بطريقة ملفتة.
- يستخدم اللّغة العربيّة في التعبير عن أفكاره بطريقة تعكس امتلاكه لمهارات التفكيرالناقد والقدرة على التحليل والربط والتقييم الصّحيح للأمور.
- يحاور، يتساءل، يُظهر فضوليّة ورغبة في التعرّف إلى ما حوله.
- ينفّذ واجباته باستقلاليّة تامّة .....

رابعاً: منهجية الكتاب استناداً إلى الإطار النظري:

أشارت نتائج تقييم الكتاب الشمولي الذي تم اعتماده عند انطلاقة التجربة إلى وجود ثغرات عدة وردت في آراء المعلّمين والمشرفين التربويّين في أكثر من مجال، إنّ لناحية الإخراج والشّكل (الصّوروالرّسوم غير ملوّنة ، وغير واضحة ..) أو لناحية المضمون (ضعف في أنشطة اللّغة ، عدم مراعاة مراحل التعلّم ، ضعف الوسائل البصريّة والسمعيّة ...الحاجة إلى تحضير بطاقات داعمة للكتاب في المفاهيم العلميّة والاجتماعيّة...) خاصّة وأنّ المركز التربوي المعدّ للكتاب لم يجرِ أي تقييم أو تحسين خلال فترة استخدامه ، وبعد الإطلاع على تجارب الآخرين في مجال إعداد كتب لغة عربيّة موجّهة لهذه المرحلة العمريّة والتي كانت نادرة، و لا تلبّي توقّعاتنا ضمن الرؤية التي نسعى إلى تحقيقها ، ولمعالجة نقاط الضعف هذه، خاضت مدارس المبرات العام الدراسي٢٠٠٧-٢٠٠٨ و٢٠٠٨ -٢٠٠٩ تجربة إعداد مشروع تأليف كتاب مواد التربية التكامليّة (دمج مواد اللّغة العربيّة ، العلوم ، الاجتماعيّات) بما يراعي نتائج البحث الدماغي حول كيفيّة تعلّم الدماغ للمفاهيم و اكتساب المعارف و المهارات و أهميّة تنمية الذكاء العاطفي، و بالتالي إدخال ودمج مهارات إدارة المشاعر في المنهج، ومراعاة بُعد القضايا العالميّة من خلال أنشطة التربية على التنمية المستدامة ... وقد شكّلت لهذه الغاية لجنة من المعلّمين والمنسقين المعنيّين بتعليم هذه المرحلة العمريّة، هذا إلى جانب الخبير والمستشار التربوي والمدقّق اللّغوي للكتاب.

أنتجت هذه اللّجنة سلسلة كتب "نكتشف ونتعلم" لصفوف الأوّل الثاني والثالث الأساسي، ثم استكملت بتأليف كتاب "نلعب ونتعلّم " لصف الروضة الثالثة، ولقد حصلنا على موافقة من قبل المركز التربوي للبحوث والإنماء باعتماد هذه الكتب التي ما زلنا مستمرّين في تدريسها.

كانت البداية في عمليّة التأليف من إعداد مصفوفات أهداف للكتاب تتكامل فيها أهداف مجالات تعلّم اللّغة والمفاهيم والمهارات العمليّة والمفاهيم والمهارات الاجتماعيّة، ومهارات النمو العاطفي ، وتبنّي المواقف الايجابيّة بما ينسجم مع مبادىء التنمية المستدامة، ووضع معايير لتحكيم النصوص والأنشطة بما يعكس الإطار النظري. و في هذا السياق نستعرض كيف تمّت عمليّة تأليف هذه السّلسلة من الكتب بما يراعي تحقيق ما ورد.

أ- في المجال اللّغوي:

من المهم ونحن نتحدّث عن منهج تعليمي للطفولة المبكرة ،أن يصبّ تركيزنا بالدرجة الأولى على مدى فعاليّة هذا المنهج في تحقيق المكتسبات اللّغويّة ،هذا إذا ما ربطنا علاقة اللّغة بالنماء وتأثيرها على تطوّر المجالات النمائيّة الأخرى وما أثبتته الدراسات العلميّة والتربويّة في هذا المجال.

"رغم إهتمام العالمين vygotski و Piaget منذ مطلع القرن العشرين بعلاقة اللّغة بالنضوج الفكريّ، رغم اهتمام بعض علماء النفس بعمليّة النماء عند الإنسان وعند الحيوان، ورغم تطوّر الدراسات اللّغوية من اللّسانية La Linguistique حتى البراغماتيّة

PragmatiqueLa مروراً بمختلف نظريّات الاكتساب اللّغوي، لم تقم دراسات توازن بين النماء الإدراكي عند المتعلّم واكتسابه اللّغوي لتربط بينهما . في أطروحة دافع عنها سنة ١٩٩٤ ، أظهر نحّاس وجود ارتباط لا ينفك بين المسارين، وأكد ضرورة الاهتمام بهذا الوجه في أيّة مقاربة تعليميّة ApprocheDidactique جديدة".(١٦)

أما أبحاث Lancetوالتي استندت إلى دراسات تحليليّة لبرامج الطفولة المبكرة من كلّ بلدان العالم ضمناً بلدان العالم العربيّ.. فقد توصّلوا إلى مجموعة من المؤشّرات المؤثّرة في تحديد مسار وكيفية تنمية ورعاية الطفولة المبكرة.. ومن أبرز هذه المؤشّرات التي تؤكّد ضرورة التركيز على اللّغة في هذه المرحلة :

- اللّغة هي الأداة الأساسية للتفكير، التواصل، التحليل المنطقي، وتفهّم التغيّرات التي تحصل في عالم سريع التغيّرات.
- إن النماء اللّغوي مرتبط بشكل وثيق بتطوّر الطفل العاطفي والنفس إجتماعي، وبالتالي عامل الكفاءة في استخدام اللّغة حرج لاستعداد الطفل للمدرسة.
- مشاكل اللّغة والتواصل عند الطفل قد تضعه على مسار حياة مختلف عن أقرانه.
- شكلّت الفجوة في اللّغة عاملاً حرجاً في تسرّب الأطفال من المدرسة في وقت مبكر...

من هنا ركّز الكتاب بشكل أساسيّ في أنشطته على تحقيق المكتسبات اللّغويّة عند المتعلّمين بدءاً من مهارات التّهجئة وعمليّة اكتساب القراءة وصولاً إلى مهارات التّعبير الشّفهيّ والكتابيّ، مستفيداً من الدراسات التّربويّة الحديثة في اختيار الإستراتيجيّات والأساليب التعليميّة الناجحة في هذا المجال، كاعتماد استراتيجيّات الوعي الصوتيّ في منهجيّة كتاب الروضة الثالثة والأول الأساسي، هذا لأنّ "الوعي الفونيمي" كما أشارت الدراسات هو المرحلة الأكثر تقدّماً في علم اللّغة". وهو يعبّر عن الوعي بأن الكلمات تتألّف من أصوات منفردة أو "الفونيما" والقدرة على التعامل مع هذه الحروف إمّا بالتجزئة، المزج الصوتي، وتغيير الحروف في الكلمات للحصول على كلمات جديدة.

"Phonetic awareness instruction helps children learn to read: Evidence from the national reading Panel's meta-analysis(١٧)

كما تمّت دراسة كيفيّة تدرّج الأحرف في كتاب الروضة الثالثة والأوّل الأساسي واستشارة بعض المختصّين في مجالات اللّغة والنطق لما لذلك من علاقة في التخفيف من الصعوبات التعليميّة لاحقاً. بالإضافة إلى الغنى والتنوّع في النصوص الأدبيّة والاجتماعيّة والعلميّة التي يعالجها الكتاب، والأنشطة الشفهية والكتابيّة التي تعزّز المكتسبات اللّغويّة في مختلف مجالاتها ، والنشاطات الشفهيّة والكتابيّة والعروض والأبحاث .... في مختلف مواد الكتاب، وبالمقابل لا يخفى علينا أن اكتساب المهارات اللغويّة في الفهم والتحليل والتلخيص والربط يساهم بشكل كبير أيضاً في فهم المواد التكامليّة الأخرى . ونشير هنا إلى العناوين التي أدرجت في الكتاب ولحظت ما ذكر أعلاه،

أتعلّم لأقرأ (خاص بكتابي الروضة الثالثة والأوّل الأساسي) :

يشتمل هذا العنوان على الحروف والأصوات سمعيّاً و بصريّاً، بما يعزّز مهارات ما قبل القراءة والكتابة واكتساب مفردات لغويّة متعدّدة وصولاً إلى القدرة على التعبير شفهيّاً وكتابيّاً بكلمات وجمل صحيحة.

أنا أقرأ:

هو القسم الخاصّ بفقرة القراءة والذي تتضمّن (في الرّوضة الثّالثة والأوّل الأساسي) أصوات الحرف المرتبطة بالدرس إضافة إلى جملة مناسبة من القصّة أو جملة مركّبة من أبرز الأصوات التي تعلّمها، وتزيد نسبة الجمل المطلوبة للقراءة مع تطوّر المعارف والمهارات اللّغويّة، كما تمّ تثبيت المفردات والمصطلحات المرتبطة بالمفاهيم الأساسيّة التي تناولتها القصّة عبر أنشطة لغويّة تساعد في بناء المخزون اللّغوي عند المتعلّم لتعزيز مهارات التواصل الشفهي والكتابي. أمّا في صفّيّ الثاني والثالث الأساسيّين فيتعرّض التلميذ لقراءة فقرات تتناسب مع مكتسباته اللّغويّة.

أنا أطالع قصّة :

وهي قصّة مشوّقة للمطالعة ، أدرجت في نهاية كلّ محورٍ تعليمي ، يتخلّلها أنشطة تعليميّة وتساعد في تنمية خيال التلميذ، وتعزيز المكتسبات اللّغويّة ...

معجمي الصغير/ قاموسي الصغير:

يدرج تحت هذا العنوان المفردات والمصطلحات اللّغويّة والعلميّة ذات الصّلة بمواضيع الدروس، والحقل المعجمي والمرادفات والأضداد، لعدد من الكلمات في إطار تنمية المخزون اللغوي وتعزيز مهارات الفهم عند المتعلّمين، إضافة إلى أنشطة استخدام هذه المفردات بلغة المتعلّم.

أدرّب أناملي / أنسخ:

تضمّن هذا العنوان الأصوات والجمل التي سيكتبها التلميذ في كلّ درس (كتابة جرافيزم) لكلّ حرف يمهّد للخطوط الجزئيّة المكوّنة للصّورة الكليّة للحرف ، و يسبقها تمارين حركيّة ولمسيّة بخامات بيئيّة (على الأقل بالماء والرمال)، فضلاً عن التمارين السيكوحركيّة التي بنيت بشكل يدعم فهم حركة تشكيل الحرف في الحيّز المكانيّ ..

أستمع ثمّ أكتب:

يرتبط هذا العنوان بمرحلة التدريب على الكتابة الإملائيّة غير المنظورة، بما يساعد في تقييم مكتسبات التلميذ للمقاطع الصوتيّة والكلمات التي تعلّمها وتتطوّر كميّة ونوعيّة الكلمات المتوقّع كتابتها من قبل التلميذ مع تطوّر المحاور .

ألاحظ وأعبّر :

يندرج تحت هذا العنوان رسم واحد أو عدّة رسومات تتعلّق بموضوع الدرس وتكون تمهيداً له. يندرج تحت هذا العنوان مجموعة أسئلة مرتبطة بالصورة وتساعد في اكتشاف عنوان نصّ أو قصّة، وتتناول أبعاداً تربويّة وتعليميّة.

أستمع ثمّ أجيب:

يأتي تحت هذا العنوان قصّة الدرس و تنطلق كلّ قصّة من قيمة تربويّة وثقافيّة بأسلوب مشوّق تناسب المرحلة العمرية، كما وتتناول أبعاداً مختلفة، تساعد التلميذ في مهارات الفهم والربط والتذكّر والتحليل وإبداء الرأي...

أتعرّف أكثر:

يدرج نحن هذا العنوان المفاهيم ذات الصّلة بالمعارف اللّغويّة المتعلّقة بموارد القواعد والتعبير الشفهيّ والكتابيّ، وذلك عبر أنشطة تعزّز مهارات استخدام اللّغة والمفردات مثل تركيب الجملة ، وصف الصورة، استخدام الروابط ....

نتشد معاً :

تضمّن كلّ محور ثلاثة أناشيد ، تم اختيار النشيد على أساس المضامين التربويّة والعلميّة واللّغويّة الهادفة المرتبطة بالمحور مع مراعاة خصوصيّة المرحلة العمريّة عند اختيار مفردات النشيد ذات الإيقاع الموسيقي ، والتنغيم والقافية ...ويظهر التلميذ من خلالها مهارات الإلقاء والقدرة على الحفظ .

أتدرّب أعبّر أطبّق...

أنشطة تطبيقيّة موجودة في دفتر التطبيقات المكمّل للكتاب تراعي الأهداف التي يجب أن يحقّقها المتعلّم في كافّة مهارات اللّغة العربيّة مع مراعاة كلّ مرحلة من مراحل التعلّم

(التطبيق ، التدريب، العمل المستقلّ...)

أستمع ثمّ أكتب:

يرتبط هذا العنوان بمرحلة التدريب على الكتابة الإملائيّة غير المنظورة بما يساعد في تقييم مكتسبات التلميذ للمقاطع الصوتيّة والكلمات التي تعلّمها وتتطوّر كميّة ونوعيّة الكلمات المتوقّع كتابتها من قِبل التلميذ مع تطوّر المحاور .

ب- المجالات والمهارات العلميّة والإجتماعيّة ومهارات النموّ العاطفي :

"يستوعب الدماغ المعلومات عندما تتمثّل أمامه بصورة ذات معنى فالتعلّم ذو المعنى هو تعلّم يساهم بشكل فاعل ومؤثّر في إقامة علاقات وتشابكات عصبيّة متفاعلة ، ومن ثمّ السيطرة على الخبرات التعليميّة وتنظيمها ومعالجتها والإبداع من خلالها. فالتعلّم النشط ذو المعنى هو مزيج من " المعنى الملموس" و"المعنى العميق".

ولأنّ الطرائق الناشطة والممارسات التعليميّة الصحيحة ونوعيّة مشاركة المتعلّمين، وارتباط التعليم بالحياة اليوميّة للمتعلّمين، ومراعاة الفروقات الفردية، والرغبات والميول والمشاعر ... وغيرها من الأمور الأساسيّة يتوقّف عليها تنمية المهارات المختلفة عند المتعلّمين واستدامة التعلّم وتعزيز المكتسبات للسنوات اللاحقة، لذا راعت أنشطة الكتاب استخدام أساليب التعليم الناشط بما يتناسب مع خصوصيّة المرحلة العمريّة ، كأنشطة التعلّم عبر اللعب والإكتشاف، والزيارات الميدانيّة ، التعلم التعاوني، تفعيل الأنشطة الحسيّة ، مهارات حلّ المشكلات، أنشطة التقييم الذاتي، والتي هدفت إلى تحفيز المتعلّمين وتنمية حسّ المسؤوليّة عندهم. وغيرها من المهارات الأدائيّة المختلفة كمهارات الإلقاء والإنشاد والعرض لتنمية مهارات التفكير الناقد والمبدع، والمهارات الاجتماعيّة والتواصليّة... كما راعى الكتاب في أنشطته التدرّج من السّهل إلى الصعب، ومراحل التعليم بدءاً من الإكتشاف إلى التطبيق والتدريب وصولاً إلى التقييم، هذا فضلاً عن أنشطة الدعم والمعالجة والأنشطة الإثرائيّة التي تصبّ بدورها في لحظ الفروقات وتنمية الإبداعات ، البعد عن النمطيّة عند تقديم الأنشطة التعليميّة واستخدام الوسائل البصريّة والسمعيّة والحسيّة والتكنولوجيّة ...بما يخدم تحقيق الأهداف وفق المستويات المتعدّدة وأنماط التعلّم المختلفة.

وأمّا العناوين التي أُدرجت في الكتاب لتحقيق الأهداف المرتبطة بهذه المجالات فهي :

- **ألاحظ وأستدلّ:**

يتضمّن هذا العنوان الأنشطة المرتبطة بموارد مادّة العلوم بما يتناسب مع كلّ مرحلة عمريّة بأسلوب سهل حيث تساعد المتعلّم على التجربة حبّ الاكتشاف ، الإستنتاج ، وتعزيز النماء المعرفيّ والحسّ حركي .

أتفاعل مع محيطي:

إرتبط هذا العنوان بموارد المجال الاجتماعيّ والذي ركّز على مواضيع تتعلّق بالمتعلّم بحدّ ذاته، وبعلاقته مع المحيط والعالم والتربية على مبدأ الحقوق والوجبات ، والتعبير عن الرأي، ضمن إطار قيميّ بما يعزّز السلوكيّات والمواقف الإيجابيّة عند المتعلّم .

أنمّي مهاراتي:

أُدرج تحت هذا العنوان أنشطة متنوّعة تخدم كافّة الموارد المرتبطة بالدرس وتسمح هذه الأنشطة في تنمية المهارات الحسيّة

الحركيّة / الشفهيّة / الكتابيّة / الإجتماعيّة ومهارات العرض .

خبراتي مع الرياضيّات (خاص رياض الأطفال) :

غطّى هذا القسم موارد مادّة الرّياضيات وقد تمّ التركيز في تعليم الموارد على الانطلاق من أنشطة ووسائل حسيّة تساعد في تثبيت المفاهيم الرياضيّة وتنمّي مهارات الاكتشاف والتفكير كما تمّ ربط المادّة بالحياة وبالبيئة المحيطة.

نشاطاتي الشفهيّة :

هي أنشطة تعزّز استخدام مهارات التعبير الشفهيّ والمفردات ذات الصلة بمواضيع لغويّة، إجتماعيّة وعلميّة، والتعبير عن المشاعر والمواقف في إطار المكتسبات المرتبطة بالدروس.

كما نجد أن هذه الكتب تضمّنت العديد من الأنشطة الموجّهة للعمل المنزليّ ليتشاركها التلميذ مع الأهل، ومنها قراءة قصّة، زيارة ميدانيّة، زيارة مكتبة أطفال، التعبير عن المشاعر ،تمثيل مشهد، نزهة مع الأهل في الطبيعة، تقييم استبيان حول ممارسات لعادات وسلوكيّات ولدهم .... وكلّ هذه الأنشطة صيغت في إطار عمليّ لخدمة أهداف تعليميّة ذات صلة بالمنهج ، كما وقد اختتم كلّ درس من دروس الكتاب بعنوان "أنا تعلّمت – أنا أقيّم ذاتي" . أُدرج تحته الأهداف المرتبطة بالمجالات النمائيّة المختلفة والمتوقّع اكتسابها بهدف استذكارها مع أهله، بما يسمح لهم بالتعرف إلى مستوى اكتساب ولدهم لها.

كما تمّ إعداد كتيب "رحلتي مع الحروف"،

وهو كتاب داعم لكتاب الصفّ الأوّل الأساسيّ هدف هذا الكتيّب إلى تحقيق عمليّة انتقال ميسّرة من مرحلة رياض الأطفال إلى الأوّل الأساسيّ. ركّز الكتيّب في أنشطته على اكتساب المهارات اللّغويّة بشكل أساسيّ والتدريب على عمليّة التهجئة، واستذكار الحروف والأصوات عبر استراتيجيّات الوعي الصوتيّ (الفونيمي) ومعالجة قصص تنطلق من حياة الطفل وبطريقة مشوّقة.. وهو يساعد في اكتشاف مدى قابلية المتعلّمين وجهوزيّتهم لمرحلة التعليم الأساسي كما ويوفّر فرص المعالجة والدّعم بحسب الفروقات الفردية.(١٧)

خامسا : المتابعة والتقييم المستمرين لمشروع التأليف :

إنّ المتابعة و التقييم مكوّن أساسيد في عمليّة التخطيط للمشاريع التطويريّة أو في إدارة عمليّة التغيير، وبناءً عليه فإنّ "إعداد سلسلة كتب اللّغة العربيّة وفق نهج التربية التكامليّة" في مرحلة رياض الأطفال ، والتعليم الأولي ، أُخذت بعين الإعتبار خطوة التقييم المستمر للمشروع حيث تعمل لجنة التأليف مع الإشراف المعني برصد أثر التجربة على المتعلّمين ، والاطلاع على المستجدّات التربويّة وتدريب المعلّمين على منهجيّة الكتب... بهدف التحسين المستمرّ لخدمة تحقيق المكتسبات المرجوّة. ونشير في هذا المجال إلى أنّه قد تمّ إصدار طبعة جديدة مؤخّراً من هذه السلسلة وفق نتائج التقييم كما تمت الإستفادة من هذه التجربة في إعداد سلسلة كتب منبثقة عنها لخدمة تدريس اللّغة العربيّة للتلامذة المغتربين

(التلامذة العائدون إلى الوطن الأم ولديهم مشكلة في اكتساب اللّغة العربيّة) وذلك وفق مستوياتهم اللّغويّة، بدءاً من المستوى المبتدىء " للتلامذة غير الناطقين بهذه اللّغة" وصولاً إلى تحقيق المكتسبات اللّغويّة الأساسيّة التي تسمح للتلميذ بالتحاقه في الصفّ العادي. ونشير في هذا المجال بأنّ عدد التلامذة المستفيدين في مدارس المبرّات حالياً من هذه الكتب في صف الروضة الثالثة قارب ١٥٠٠ تلميذاً وتلميذةً ٥٠٠٠ تلميذاً وتلميذةً في صفوف الأوّل الثاني والثالث الأساسي .

ختاماً ...

وعوداً على بدء وكخلاصة لما تقدّم ، وإذا كانت الأدبيّات العالميّة حدّدت سبعة عوامل لنجاح برامج رعاية وتنمية الطفولة المبكرة ، يبقى

العامل الأكثر أهمية وتأثيراً هو تبنّي صانعي القرار لمفهوم رعاية وتنمية الطفولة المبكرة.

فإذا كنّا نسعى إلى تغيير جدّي يتوقّف علينا إعادة النظر بأهميّة الإستثمار مادياً و بشرياً في مرحلتي رياض الأطفال و الحلقة الأولى بما فيها إعطاء الوقت لاكتساب المعرفة اللازمة لمواكبة هذه المرحلة الحرجة في نماء تلامذتنا، خاصّة تلك الأنشطة التي تساعده في اكتساب اللّغة العربية الأم بما يعزّز من انتمائه لهويّته العربيّة وفهم ثقافتها وجذورها.

إنّ الحفاظ على لغتنا العربيّة متألّقة بين لغات العالم، وراسخة في عقول الناشئة وهي مسؤوليّة مشتركة تحثّنا جميعاً على المزيد من المبادرات التطويريّة، واضعين نصب أعيننا أن التغيير يبدأ أوّلاً وأخيراً بما نتبنّاه ونخطّط له في مناهجنا.

وأنهي مع مقتطف ممّا جاء في محاضرة ألقاها الدكتور طه حسين في مؤتمر المجامع العلميّة العربيّة الذي أقيم في دمشق عام ١٩٥٦تحت عنوان (نحو تعليم ميسّر .. وكتابة ميسّرة).

يقول: "... وبعد فأنا لا أدعوكم الى هجر القديم مطلقاً وعسى أن أكون من أشد الناس محافظة على قديمنا العربي ولا سيما في الأدب واللّغة ولكن لمَ لا يكون النحو القديم والكتابة القديمة والبلاغة القديمة وكل هذه العلوم العربيّة التي أنشئت في عصر غير هذا العصر الذي نعيش فيه ، لمَ لا يكون هذا كله متطوّراً كما تطوّرت اللّغة نحفظ قديمه لدرس المتخصّصين في الجامعات وفي المعاهد ونتيح للملايين البائسة من الصبية والشباب أن يتعلّموا تعلّماً قريباً سهلاً ، عسى أن يتخرّج من بينهم من يضيف إلى ثروة هذا القديم ويحسّنه أكثر مما نحسّنه نحن ويحيي هذا التراث القديم أكثر ممّا نحييه نحن." (١٨)

الهوامش:

١. إبن خلدون، com.http://mawdoo٣ زيارة الموقع : ٠٩ شباط، ٢٠١٧، ٠٢:٢٢:٤٤ م

٢. الرافعي، مصطفى صادق ، ن م

٣. شوقي، أحمد ، ن م

٤. رينان ، إرنست ، ن م

٥. فضل اللّه ، محمّد باقر؛ أ.د ، من كلمة مدير عام جمعية المبرّات الخيريّة في المؤتمر التربوي السنوي للمبرّات.

٦. Source: National Scientific Council on the Developing Child (٢٠٠٧). The Timing and Quality of Early Experiences Combine to Shape Brain Architecture: Working Paper #

٧. Source: National Scientific Council on the Developing Child (٢٠٠٧). The Timing and Quality of Early Experiences Combine to Shape Brain Architecture: Working Paper #

٨. Goodson، B.، and Layzer، C. (٢٠٠٩).Developing Early Literacy: Report of the National Early Literacy Panel.

٩. صفير، جاكلين وجيلكس ،جوليا – ترجمة منى سروجي وآخرون ؛ الكبار والصّغار يتعلّمون ج ١ ورشة الموارد العربيّة وآخرون ، بيروت ، لبنان ، ط ١، ٢٠٠٣ ،

١٠. تعريف النهج الشمولي التكاملي ، ن.م ص ١٧

١١. مبادئ ومفاهيم النهج الشمولي ، ص١٧

١٢. عن منشورات منظمة اليونيسف حول التربية الشمولية التكاملية.

١٣. صفير، جاكلين وجيلكس ،جوليا – ترجمة هادي حبيب وآخرون ؛ الكبار والصّغار يتعلّمون ج ٣ ورشة الموارد العربيّة وآخرون ، بيروت ، لبنان ، ط ١، ٢٠٠٣

١٤. Source: National Scientific Council on the Developing Child (٢٠٠٧). The Timing and Quality of Early Experiences Combine to Shape Brain Architecture: Working Paper #

١٥. Source: National Scientific Council on the Developing Child (٢٠٠٧). The Timing and Quality of Early Experiences Combine

to Shape Brain Architecture: Working Paper #

١٦. شعبان ، قاسم وآخرون ؛ اللغة والتعليم ، الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية ، بيروت ، لبنان ،ط١ ، ٢٠٠٠ ص ١٧٥

١٧. Ehri، L. C.، Nunes، S. R.، Willoes، D. M.، Schuster، B. V.، Yaghoub-Zadeh، Z.، and Shanahan، T (٢٠٠١). Reading Research Quarterly، ٣٦، ٢٥٠-٢٨٧.

١٨. حسين، طه ، د ، www.baedu.uokufa.edu.iq/staff/dr___baqer/makalat/٣٢.doc زيارة الموقع : ٩ شباط، ٢٠١٧، ٠٢:٢٢:٤٤ م

مصادر ومراجع البحث

- إيريك جنسن، كيف نوظّف أبحاث الدماغ في التعليم ، Association for Supervision and Curriculum Development ،Alexandria، Virginia USA ترجمة مدرسة الظهران السعودية، دار الكتاب التربوي للتوزيع والنشر ، السعودية
- صفير، جاكلين، وجيلكس ،جوليا – ترجمة منى سروجي وآخرون ؛ الكبار والصّغار يتعلّمون ج ١-٢ - ٣ ورشة الموارد العربيّة وآخرون ، بيروت ، لبنان ، ط ١، ٢٠٠٣ ،
- منهج التربية التكاملية - سلسلة كتب- نلعب ونتعلّم للروضة الثالثة، ط ، ١ ونكتشف ونتعلم لصفوف الحلقة الأولى، ط٢ دار الشفق بيروت، لبنان.
- وثائق ودراسات من ثانوية الكوثر (مدارس المبرّات الخيرية) ، حول تجربة تطبيق التعليم الشمولي.
- وثائق ومنشورات المركز التربوي للبحوث والإنماء في لبنان حول تطبيق تجربة التعليم الشمولي العام ٢٠٠٠ – ٢٠٠١- ٢٠٠٢-٢٠٠٣
- أبحاث Lancet ، أبحاث الدماغ والنمو في الطفولة المبكرة.

مرفقات البحث:

- وثائق لنماذج من ثانوية الكوثر ترتبط بتطبيّق تجربة التربية الشموليّة:

(استمارة تقييم مديرة المدرسة للتجربة - استمارة إبداء رأي معلم - استمارة الأهل - تحليل نتائج اجراء اختبارات لتلامذة الصف الأول).

- نموذج درس من كتاب نلعب ونتعلّم للصف الروضة الثالثة.
- نموذج درس من كتاب نكتشف ونتعلّم للصف الثاني الأساسي.